الكتاب : منهل السعادة
مقدمة المؤلف
وصلى الله وسلم على محمد وآله وبالله العون والثقة ، والحمدلله الذي جعل أهل بيت نبيه أدلة على الرشاد ، وقدوة لأهل التقوى من العباد ، واختار منهم أئمة يهتدي بهم من أراد سلوك مناهج الزهاد والعباد ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك القدير ، وأن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الكبير والصغير ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أهل الجد والتشمير في طاعة السميع البصير ، أما بعد :
فهذا أنموذج خطير في بعض عبادات أهل التطهير ، فلعل الناظر إليها بهديهم يهتدى ، وبأقوالهم وأفعالهم يقتدى { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } [الأنعام :٩٠] ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (عند ذكر الصالحين تنزل البركة) ، وقال الإمام المؤيد بالله عليه السلام : (ذكر الصالحين وكلامهم حياة القلوب ، كما إن الطعام والشراب حياة النفوس) ، وقال الفقيه العالم الحسن محمد النحوي رحمه الله : (ذكر الصالحين وكراماتهم جلاء للقلوب القاسية) ، وسيمته (منهل السعادة في ذكر شيء مما كان عليه بعض صفوة السادة من الزهد والورع والعبادة) ، وهذا أوان الإبتداء ، ونسأل الله الإعانة في الإبتداء والإنتهاء ، ونسأله أن ينفعنا به وكافة إخوانناالمؤمنين والمؤمنات ، وأن يجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم ، ولنتبرك بذكر خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيها جملة من الأنبياء ، مع الإشارة إلى ما كان عليه هو صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، ثم نتبعها بذكر شيء مما كان عليه نبينا محمد صلوات الله عليه وعلى آله وسلم ، وما كان عليه الأربعة المعصومون عليهم السلام ، ثم نشرع في المقصود بعون الملك المعبود .
قال أمير المؤمنين ورأس أهل التقوى واليقين علي بن أبي طالب عليه السلام : (ولقد كان لك في رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك في الأسوة ، ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساوئها إذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها ، وفطم عن رضاعها ، وزوي عن زخارفها) ، وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : { رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير } ؟ [القصص :٢٤] ، والله ما سأله إلا خبزا يأكله ، ولأنه كان يأكل بقلة الأرض ، ولقد كانت خضرة

عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتبعه ، وقائدا نطأ عقبه ، والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من رقاعها ، ولقد قال لي قائل : (ألا تنبذها عنك) ، فقلت : اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى) انتهى كلام علي عليه السلام .
وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجوع ، ويشد حجرا على بطنه ، وأنه ما شبع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل محمد من طعام حتى لقي الله ، وقد كان صلوات الله عليه ملك قطعة واسعة من الدنيا فلم يتدنس منها بقليل ولا كثير ، ولقد كانت الإبل التي غنمها يوم حنين أكثر من عشرة آلاف بعير ، فلم يأخذ منها وبرة لنفسه ، وفرقها كلها على الناس ، وهكذا كانت شيمته وسيرته في جميع أحواله ، حتى لقي ربه .
وكان صلى الله عليه وآله وسلم يصلي حتى أورمت قدماه ، وكان يصلي وبصدره أزيز كأزيز المرجل .
(٢/١)
وروي أن عليا عليه السلام كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده ، وكان هو عليه السلام وفاطمة وابنيهما يأكلون خبز الشعير ، وروي أنهم آثروا سائلا بأربعة أقراص منه كانوا أعدوها لفطورهم وباتوا جياعا .
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جهز فاطمة عليها السلام بوسادة من أدم حشوها ليف واهاب كبش كانت فاطمة عليها السلام تعجن على ناحيته ، وينامون على ناحية ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينثر في بيتهم ليلة بنا علي بها من بطحا الروحا .
وروي أن عليا عليه السلام لم يشبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا ، قال عبدالله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد فقرب جرابا مختوما فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرصوصا ، فقدم فأكل منه ، فقلت يا أمير المؤمنين ، فكيف تختمه ، فقال : (خفت هذين الولدين أن يبلاه بسمن أو زيت) ، وكان ثوبه مرقوعا بجلد تارة ، وبليف أخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرابيس الغليظ ، فإذا وجد كمه طويلا قطعه بشفره ولم يخيطه ، فكان لا يزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لا لحمة له ، وكان يأتدم إذا ائتدم بخل أو ملح ، فإن ترقأ عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللحم إلا قليلا ، ويقول : (لا تجعلوا بطونكم مقابرا للحيوان) ، وكان عليه السلام أعبد الناس ، وأكثرهم صلاة وصوما ، ومنه تعلم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة ، وما ظنك برجل بلغ من محافظته على ورده أن بسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير ، فيصلى عليه ورده والسهام تقع بين يديه ، وتمر

على صماخيه يمينا وشمالا فلا يرتاع بذلك ، ولا يقوم حتى يفرغ من وظفيته ؟!! ، وما ظنك برجل كانت له كبعة من طولة سجوده ؟!!
وعن أبي الدرداء : شهدت عليا وقد اعتزل عن مواليه ، واختفى عمن يليه واستتر بغلاب النخل ، فافتقدته ، فقلت لحق بمنزله فإذا أنا بصوت حزين ، ونغمة شجي ، وهو يقول : (إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك ، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك ، إلهي إن طال في عصيانك عمري ، وعظم في الصحف ذنبي ، فما أنا بمؤمل غير غفرانك ، ولا أنا براج غير رضوانك) ، قال : فشغلني الصوت واقتفيت الأثر فإذا هو علي عليه السلام بعينه ، فاستترت منه وأخملت الحركة فركع ركعات في جوف الليل الغائر ، ثم فزع إلى الدعاء والإستغفار والبكاء والبث والشكوى ، فكان مما ناجى به ربه أن قال : (إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي ، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي ، ثم قال : آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول : خذوه فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالندى ، ثم قال : آه من نار تنضج الأكباد والكلى ، آه من نار نزاعة للشوى ، آه من ملمات تلظى) .
(٣/١)
قال أبو الدرداء : ثم انعم في البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة ، فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر ، أوقظه لصلاة الفجر ، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك ، فزويته فلم يزو ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات والله .. مات علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : فأتيت منزله أريد أن أنعاه إليهم ، فقالت فاطمة عليها السلام : (يا أبا الدرداء هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله) ، ثم أتوه بماء فنضحوا على وجهه فأفاق ، ونظر إلي وأنا أبكي قال : (ما أبكاك ؟).
فقلت : (مما أراه نزل بك) .
قال : (يا أبا الدرداء وكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعقاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ شداد ، وزبانية أفظاظ ، فوقفت بين يدي الله الملك الجبار ، قد أسلمني الأحباء ، ورحمني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية) .
وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : (والله ما أكل علي من الدنيا حراما قط ، حتى مضى لسبيله ، وما عرض عليه أمران قط هما لله رضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه ، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نازلة إلا دعاه فقدمه أمامه ثقة به ، وما أطاق عمل رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم من هذه إلا مد غيره ، وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار ، يرجوا ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله تعالى والنجاة من النار مما كد فيه بيده ، ورشح منه جبينه وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة ، وما كان لباسه إلا الكرابيس ، إذا أفضل شيء من كمه عن يده دعا بالجلم فقصه) .
ووصفه عليه السلام ضرار الضبائي فقال : (كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، ينفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس إلى الليل ووحشته ، غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبئناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله .
وأشهد : لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غري غيري ، أبي تعرضت أم إلي تشوقت ، هيهات .. هيهات ، قد أبنتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك كثير ، آه .. آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة الطريق) .
وسئل رجل عن لباسه عليه السلام فقال : أدنى اللباس .
وعن رفقه ؟ فقال : أب لليتيم ، وخلف على الأيم ، ووالد للصغير ، وولد للشيخ الكبير .
وعن طعامه ؟ فقال : النهار جائع عطشان ، فإذا أفطر نال من الطعام كما ينال المسكين .
(٤/١)
وعن ما يصنع في ليله ؟ فقال : جزأه أربعة أجزاء ، جزء يحرس فيه المسلمين ، وجزء ينام فيه بين أهله ، وجزء يناجي فيه ربه ، وجزء يراقب فيه صلاة الفجر .
وعن ما يصنع في نهاره ؟
فقال : يطوف على الناس فمن قضيه محكمة ، وسنة مبينة ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر حتى تجب الصلاة فيصلي بالناس على قدره من الحال .
وعن خلقه ؟ فقال : يضحك تبسما ، ويحلق قليل النظر فيها لا يعنيه ، مبادر إلى تعليم الجاهل .

وعن أحب الناس إليه ؟ فقال : أطوعهم لله ، وإن لم يكن أصيلا .
وسئل عنه عليه السلام آخر فقيل : كيف خلقته ؟
قال : خلقته كالبدر رابع عشر صحيحا في جسمه ، سالما في دينه ، صائما نهاره لا يفطر ، قائما ليله لا يفتر .
قيل : كيف خلفة ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ؟
قال : خلفتهما شابين أديبين عالمين عاملين ، يصلحان للدنيا والآخرة ، سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
وروي أن الحسن والحسين عليهما السلام حجا ماشيين على أقدامهما بضعا وعشرين حجة ، والنجايب تقاد .
وروي أن عليا عليه السلام : كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعد وتغير لونه ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : جاء وقت أمانة الله تعالى التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، فلا أدري أحسن إذا ما حملت أم لا ؟ .
وروي نحوه عن أولاده إلى زين العابدين عليهم السلام .
وروي عن الحسن بن علي عليه السلام أنه كان إذا أراد أن يتوضأ تغير لونه ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : (إني أريد القيام بين يدي الملك) ، وكان إذا أتى باب المسجد رفع رأسه وقال : (إلهي عبدك ببابك ، يا محسن قد أتاك المسيء وقد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء فأنت المحسن وأنا المسيء) ، ونحوه .
وروي عن زين العابدين وولده زيد بن علي عليهما السلام فقيل لهم في ذلك فقالوا : (ألم تشعروا بمن تقف بين يديه) .
وروي عنه عليه السلام أنه خرج من ماله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات وبالجملة أن الأربعة عليهم السلام أخوف الأمة من الله وأعبدهم وأزهدهم ، وذلك مشهور وظاهر غير مستور .
رزقنا الله محبتهم والإهتداء بهديهم ، وولنتكلم في أحوال بعض عترتهم عليهم السلام حسب الإمكان فمنهم :
زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام روي أنه كان يصنع في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة .
وعن زيد بن علي عليه السلام كان أبي علي بن الحسين عليه السلام لا يفرط في صلاة خمسين ركعة في يوم وليلة ، ولقد كان ربما صلى في اليوم والليلة ألف ركعة .
(٥/١)

وعن محمد بن علي عليه السلام أنه دخل على أبيه قال : فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم أرى أحدا قد بلغه ، فإذا به قد اصفر لونه ، ومنصب عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته ، وانخرم أنفه من السجود ، وورمت ساقاه وقدماه من الصلاة ، فرأيته بحال لم أملك أن بكيت من رحمته فإذا به يفكر ثم قال : يا بني أعطني المصحف التي فيها عبادة أمير المؤمنين عليه السلام فأعطيته فما قوي فيها إلا يسيرا حتى رمى بها تضجرا وقال : من يقوى على عبادة علي عليه السلام .
وكان عليه السلام إذا توضأ اصفر لونه ، وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة فقيل له في ذلك ، فقال : ما تدرون بين يدي من أقوم ، وكان إذا هاجت الريح سقط مغشيا عليه ووقع حريق في بيت هو فيه وهو ساجد ، فجعلوا يقولون يا ابن رسول الله النار .. النار فما رفع رأسه فقيل له ، فقال : ألهتني النار الكبرى ، وكان يسمى ذو النفثات حتى كان مساجده كنفثات البعير .
وروي عنه عليه السلام أنه كان يذكر الله إذا مشى في طريق فإنه ينتهي عن بعض خطاه رجع حتى يذكر الله فيما كان ينتهي منه .
وروى ولده الباقر عليهما السلام أنه كان إذا فاته شيء من صلاة الليل صلاه بالنهار ويقول : يا بني إنه ليس عليكم بواجب ولكن أحب لمن عود نفسه منكم شيئا من الخيرات يدوم عليه فإن الله لا يعذب على الحسن ، ولكن يعذب على السيء ، وكان يستقي الماء لطهوره بنفسه ، ولا يحب أن يعينه عليه أحد ، وكان إذا مشى لا تجاوز يده فخذه ، ولا يخطر بيده ، وكان يقول : عجبت للمتكبر الفجور الذي كان بالأمس نطفة وهو غدا جيفة ، وعجبت كل العجب لمن يشك في الله وهو يرى خلقه ، وعجبت كل العجب لمن ينكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء ، وأوصى بعض بنيه فقال : (يا بني لا تصحب خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق : لا تصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها فقال : وما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثم لا ينالها ، ولا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك أوج ما تكون إليه ، ولا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد عنك القريب ويقرب منك البعيد ، ولا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، فقد قيل عدو عاقل خير من صديق أحمق ، ولا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع) .
وروي إنه تكلم عليه رجل وافترى عليه ، فقال له زين العابدين عليه السلام : (إن كنت كما قلت فأستغفر الله ، وإن ألم أكن كما قلت فغفر الله لك) ،

فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال : جعلت فداك لست كما قلت فاغفرلي فقال غفر الله لك ، فقال الرجل الله أعلم حيث يجعل رسالاته .
وروي أنه عليه السلام كان يقطع ما بقي من مواضع سجوده ليقع سجوده على جسمه الحي ، وكان لا يدع صلاة الليل في سفر ولا حضر .
وكان يقول : (اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي ، وتقبح عندك سريرتي) .
(٦/١)
وكان يقول : إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار .
وروي أن خادما له عليه السلام أتى بشواء لضيف له فسقط الشوي من يده على ولد صغير فقتله فقال : أنت حر يا غلام فإنك لم تعمده ، ثم أخذ في جهاز ولده .
وكان عليه السلام كثير الصدقات ينفق سرا وجهرا حتى إنه بعد موته حصر من كان ينفق عليه في المدينة سرا ، فكانوا أهل مائة بيت ، وكانوا لا يدرون أنه المنفق عليهم حتى مات عليه السلام ، ولما غسل وجد على كتفيه كثفنة البعير ، فقيل لأهله ما هذه الآثار ، فقالوا : من حمله للطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء .
ودخل عليه السلام على محمد بن أسامة في مرضه فجعل محمد يبكي فقال له : ما يبكيك ؟ قال علي دين ، قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار ، فقال : هي علي .
وخرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه ، فأسرعت إليه العبيد والموالي ، فقال لهم عليه السلام : مهلا عن الرجل ، ثم أقبل عليه وقال : ما ستر عليك من أمرنا أكثر مما بدا لك ألك حاجة نعينك عليها ، فاستحى الرجل فألقى إليه خميصة ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل يقول : أشهد إنك من أولاد الرسل .
ومنهم فاطمة بنت الحسين عليه السلام أم عبدالله بن الحسن الكامل عليه السلام روي أنه لما توفى زوجها الحسن بن الحسن المثنى عليه السلام ضربت على قبره قبة ، ووقفت بها حولا تقوم الليل وتصوم النهار.
ومنهم الإمام الشهيد زيد بن علي عليه السلام :
كان يعرف في المدينة بحليف القرآن ، وروي أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأنه كان يحيي الليل كله ، وروي أنه لم ينم الليل عشرين سنة ، وكان يغشى عليه عند ذكر الله تعالى حتى يقول القائل إنه لا يعود إلى الدنيا .

وكان كثير البكاء ، قال الرواي : والله لقد رأيته يبكي بدمع يشبه الدم ، ولقد كان دمعه يبل لحيته ، فقيل له في ذلك ، فقال : لم لا أبكي فوالله لو قد أعطاني الله الأمان من الحساب والعقاب ليحق لي أن أبكي إن كنتم تعلمون ياذوي الألباب .

ومنهم محمد بن علي الباقر عليه السلام روي أنه عليه السلام خرج حاجا فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت ، فبكى حتى ... . على صوته فقيل له : إن الناس ينظرون إليك فلو رفعت بنفسك في البكاء قليلا ، قالو : ولم لا أبكي لعل الله ينظر إلي بنظرة أفوز بها غدا ، ثم طاف بالبيت وركع خلف المقام ورفع رأسه من السجود فإذا موضح سجوده مبتل بدمع عينيه ، فقال له بعض أصحابه : ما هذا الجزع ، فقال : والله إني لمشغول القلب ، وإني لمحزون لأنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله عما سواه وما عسى أن تكون الدنيا هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ، أو أكلة أكلتها ، أو قال نحو ذلك .

(٧/١)

ثم قال : إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثرهم معونة وإن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك ، قوالون بحق الله ، قوامون بأمر الله ، فأنزل الدنيا بمنزلة منزل نزلت به وارتحلت عنه أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم ... وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل إذا ما تأملت بالأمس لذة ... وأفنيتها هل أنت إلا كحالم

وقال عليه السلام : إن الغنا والعز يحولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه ، فإن لم يجدا فيه التوكل ارتحلا عنه .

ومنهم جعفر الصادق عليه السلام : عن الليث بن سعيد رضي الله عنه قال : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلما صليت العصر وما في الحرم رقيت جبل أبي قيس فإذا أنا برجل جالس يدعو الله تعالى ، فقال : ياربّ .. ياربّ حتى انقطع نفسه ، ثم قال : ياربّاه .. ياربّاه حتى انقطع نفسه ، ثم قال : ربّ .. ربّ حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا الله .. يا الله حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا رحيم .. يا رحيم حتى انقطع نفسه ، ثم قال : يا أرحم الراحمين حتى انقطع نفسه سبع مرات ، ثم قال : اللهم إني أشتهي العنب فأطعمنيه .

ومن كلامه ـ يعني زيد بن علي عليه السلام ـ ما كتبه إلى نصر بن سيار حين بلغه إنه محبوس هذه الرسالة : (الحمدلله الحميد المجيد ، القوي الشديد ، المبدئ المعيد ، قابل التوبات ، منزل الآيات ، كاشف الكربات ، جبار

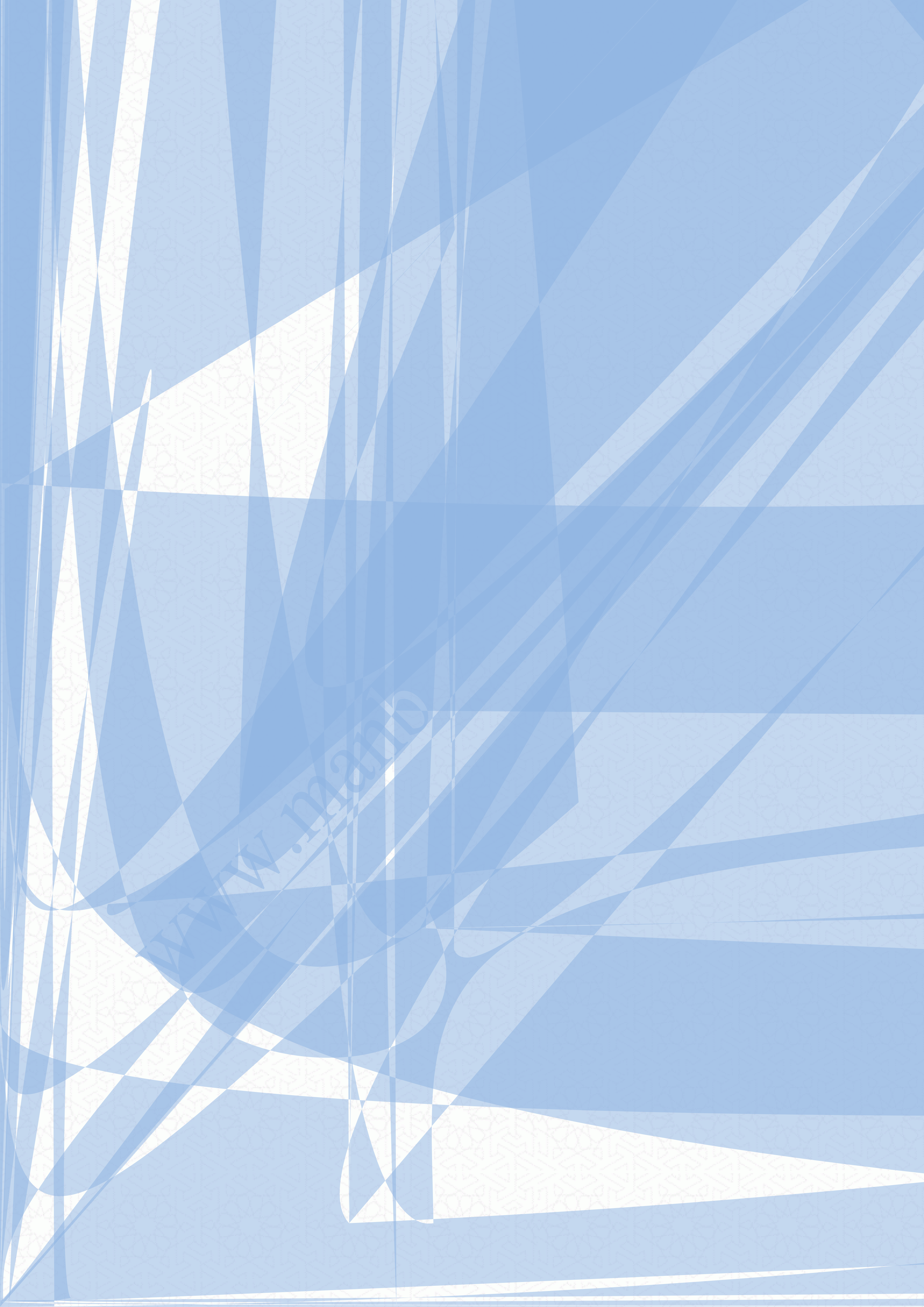
السموات ، وصلى الله على النبي الأمي البشير النذير السراج المنير محمد وآله وسلم أما بعد :
فإن الدنيا دار بلاء وبلوى ، خيرها قليل ، وشرها كثير ، وجمعها يبيد ، والبلاء فيها شديد ، وفايتها حسرة ، وتأويلها فتنة إلا من نالته من الله عصمة . الواثق بها مغرور ، والساكن إليها مخذول ، ومن أعزها ذل ، ومن كثرها قل ، فنسأل الله العصمة منها ، والنجاة من شرها ، ... وذكر باقي الرسالة .
ومن كلامه سلام الله عليه : إنما سلامتك يا ابن آدم في الدنيا من الضلال مطيتك إلى رضوان ربك ـ تبارك وتعالى ـ فتعاهد نفسك بالحساب تخلصها لربها فحينئذ أنت عبدالله ووليد من أهل جنته .
يا ابن آدم : كم أشهدته من عملك ما لا يرضى ، وإنما سعيت في هلكتك وكدحت إلى بوارك ، ثم ها أنت ذا تغتر بجهل الجاهلين بك ، وتزهو بمدح المغترين بما ظهر من ريائك .
يا ابن آدم : من أعرف منك بنفسك ، ومن هو الذي أولى بصلاح أمرك منك ، بادر ، ثم بادر قبل اخترامك وقبل زوالك وقبل رحيلك وقبل نزول في قبرك ، لم تمهد فيه مهادا ، ولم توسد لنفسك فيه وسادا ، إنما تسكنه فرادا خاليا سدى تترك فيما هاهنا آمنا انزعج إلى دار الخلق ... .. التي أعدت للمتقين .
ومن كتاب له عليه السلام إلى عمر بن عبدالعزيز : إن الدنيا إذا شغلت عن الآخرة فلا خير فيها لمن نالا ، فاتق الله لتعظم رغبتك في الآخرة ، فإنه من كان يريد حرث الآخر يزده الله توفيقا ، ومن كان يريد حرث الدنيا فلا نصيب له في الآخرة .
(٨/١)
ومن كلامه عليه السلام : إن تقوى الله عز وجل حمت المتقين معصيته حتى حاسبوا نفوسهم في صغائر الأعمال ، وإن تقوى الله بعثت المتقين على طاعته ، وخففت على أبدانهم جلول النصب ، فاستلذوا مناجاة الله وذكره ، واحمدوه على السراء والضراء ، أولئك الذين عملوا بالصالحات واجتنبوا المنكرات ومهدوا لأنفسهم فطوبى لهم وحسن مئاب .
وقال عليه السلام : خلوت بالقرآن ثلاثة عشر سنة أقرأه وأتدبره ، فما وجدت في طلب الرزق رخصة ، وما وجدت ابتغوا من فضل الله إلا العبادة والفقه .
ومن كلامه عليه السلام : خليل لك في الله تخاله ، خير لك من مال تكنزه ، وكلمة بالحق تقولها في الله تكتب لك طاعة الله ، فلا تجهل من الحق ولا

تنس نصيبك من الجنة ، فإن الله دعا عباده إلى الجنة ، واشترى منهم أنفسهم ، فمن باع نفسه بدون الثمن الذي رضي الله له خسرها ، فالله الله عباد الله فما أقرب ما توعدون وما أبعد ما تؤملون ، تباعدوا إلى الله من طول الأمل ترون قرب الأجل ، فإنه من قتل في سبيل الله كان عند الله حيا مرزوقا ، وكتبه الله شهيدأ صديقا ، إنما يدعوكم إلى الفوز العظيم والتنعم المقيم .

وكان من دعائه عليه السلام : أسألك تقربا إليك أن تصلي على محمد النبي الأمي ، وأن تقبل شفاعته ، وأته سؤله ، وبيض وجهه ، وارفع درجته ، وعظم نوره ،وكرم مقامه ، وشرف بنيانه ، وأعل منزلته ، ومكن كرامته ، وأعطه من الخيرات في جميع ما تؤتي خلقك يا أرحم الراحمين ، وصل على أهل وبارك عليهم وسلم اللهم وأسألك سكوت عن الدنيا وبغضا لها فإنه خيرها زهيد ، وإن شرها عتيد ، وإن جمعها يبيد ، وإن خيرها ينكد ، وإن جديدها يخلق ، وإن صفوها يكدر ، وإن ما فات منها حسرة ، وإن ما أصيب منها فتنة إلا من ثالثة منك عصمة نسأل الله عز وجل العصمة منها ، وأن لا يجعلنا كمن رضي بها واطمأن إليها فإن من اطمأن إليها فقد خانته ، ومن أمنها فقد فجعته ، فلم يقم من الذي كان منها فيها ، ولم تطع به عنها . نسأل الله أن لا يجعلنا كمن أخلد إلها ، وأن يجعلنا ممن سارع إلى ما شوقه إليه من ثوابه ، وعصمنا مما خوف به من عقابه ، ورزقنا الصبر في مواطن حتى يبلغنا القيام بأمره ، وبذل أنفسنا من الدنيا وما فيها لمرضاته . صح أصلا .

(٩/١)

وإن بردي قد خلقا ـ يعني ثوبيه ـ قال الليث : فوالله ما استتم كلامه حتى رأيت سلة مملؤة عنبا ، وليس على وجه الأرض يومئذ عنب ، وبردين موضوعين فأراد أن يأكل فقلت : أنا شريك ، فقال : ولم قلت لأنك تدعو وأنا أؤمن ، فقال لي : تقدم وكل ولا تخبأ منه شيئا ، فقمت فأكلت حتى شبعته والسلة لم تنقص شيئا ، ثم قال لي خذ أي البردين اخب إليك فقلت : أما البردان فأنا غني عنهما ، فقال لي : توارى عني حتى ألبسها ، فتواريت عنه فاتزر بأحدهما وارتدى بالأخرى ، ثم أخذ البردين الذي كانا عليه ، فأخذهما بيده ، ونزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل ، فقلت له : من هذا قال : جعفر بن محمد ، فطلبته لأسمع منه شيئا ، فلم أجده سلام الله عليه . قال سفيان الثوري سمعت جعفر الصادق يقول : : عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها ، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول فإن لم تكن في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي ، وليس كالخمول ، فإن لم


www.manb

الجمل فأصرف أجرة الجمل إلى صاحبه وأتقوت الباقي زاد في رواية قال : وأيما عاقني عائق عن إستقاء الماء فأخرج إلى البرية تعمد بظهر الكوفة ، فألتقط ما يرمي به الناس من البقول فأتقوته ، قال : ثم أقسم علي لا عدت إليه وودعني وتوفي مختفيا رضي الله عنه وصلى الله وسلم وكرم آمين .
ومنهم أحمد بن عيسى بن زيد عليه السلام روي أنه كان قد أثر السجود بين عينيه في وجهه ، قال محمد بن منصور قال أحمد بن عيسى عليه السلام : ما أحب أن أقصر عن الخمسين صلاة ، فقلت له : وكيف هي الخمسون صلاة ؟ ، قال : ثمان قبل الظهر ، وأربع الظهر ، وثمان بعدها وأربع العصر ، وثلاث المغرب ، وأربع بعدها وأربع العشاء وثمان صلاة الليل ، وثلاث الوتر وركعتي الفجر وركعتي الفريضة ، ثم قال أحمد بن عيسى : هذا عن علي وعن زيد .
وعن محمد بن منصور قال : حضرت أحمد بن عيسى توضأ للظهر قبل زوال الشمس ثم جلس يتحدث حتى قيل له قد زالت الشمس فتوجه إلى القبلة فصلى ثمان ركعات أربعا أربعا لا يفصل بينهن كل ركعتين بتسليم ، ثم قال لي : أذن وأقم فأذنت وأقمت ، فأردت أن أقوم عن يمينه فجذبني ثم قال : صل بي أنت فإني أنا أسهو ، فلم يدعني حتى صليت به ، وصلينا جميعا ، ثم صلى ركعتين السنة بعد الظهر وهو قاعد وصلى ركعتين آخرتين ، ثم سلم ، ثم صلى أربعا قاعدا ولم يفصل بينهن بتسليم .
وعن محمد بن منصور رحمه الله تعالى قال : رأيت أحمد بن عيسى صلى بعد صلاة الظهر ركعتي السنة وركعتين بعدها ، وأربع ركعات بعد ذلك ، لم يفصل بينهن بتسليم ، ثم جلس ما شاء الله يسبح ويذكر الله ويدعو ، ثم انحرف عن القبلة فلم يزل يتحدث ويذكر شيئا من العلم وغير ذلك حتى قيل له وقد دخل وقت العصر ، وكان ذلك بعد قامة بعد الزوال فقال لي : أذن وأقم فأذنت وأقمت ، ثم قال لي تقدم فصلينا جميعا .
وعن محمد رحمه الله قال أحمد بن عيسى عليه السلام : أما أنا فلا أدع صوم الأيام البيض ، وقد لزمته وربما صمت الغرر من الشهر.
(١١/١)
وعنه عن علي ومحمد ابني أحمد بن عيسى عن أبيهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم رجب وشعبان ورمضان لا يفصل بينهما بيوم ، وهو رأي أحمد بن عيسى بفعله ، قال لي أحمد بن عيسى أنا أصوم هذه الثلاثة الأشهر ـ يعني رجب وشعبان ورمضان ـ ويصلها .
ومنهم عبدالله بن الحسن الكامل عليه السلام : كان عليه السلام من العبادة بمحل عظيم ، روي أنه صلى الفجر بوضوء العشائين سنة لا ينام ، بل في

عبادة الرحمن ، ثم كان يسجد عند طلوع الفجر ويقول : اللهم إنك تعلم أني ألم أعبدك حق عبادتك ولكن لم أشرك بك شيئا ، ولم أتخذ من دونك وليا .
ومنهم إسماعيل بن إبراهيم الديباج عليه السلام : روي أنه أتى له من مصر بألفي دينار ورزمه ثياب فسايره رجل من المسجد إلى البيت فقال : ألك حاجة ، فقال : لا إنما أحببت أن أصل جناحك فأمر له بإحدى الرزمتين وبعض المال .
ومنهم علي بن الحسن والد الإمام الحسين الفخي عليه السلام : روي أنها دخلت الحية وهو يصلي بين ثيابه فلم يخرج من صلاته ، ولا خاف منها ، وكان كثير العبادة والتلاوة للقرآن ، وتزوج بنت عمه زينب بنت عبدالله بن الحسن الكامل عليه السلام ، فلما زفت إليه قال لها : هل لك أن نصلي هذه الليلة شكرا لله حيث جمع بيننا ، فقالت : نعم ، فباتا كذلك ، فلما دنا طلوع الفجر قالت له : هل لك أن نصوم هذا اليوم شكرا حيث جمع الله بيننا ، فقال نعم : فصاما ، ثم أقبلت الليلة الثانية فباتا يصليان ، ثم صاما كذلك ليلهما يقومان ونهارهما يصومان سنة كاملة ، فقال له عمه عبدالله بن الحسن الكامل عليه السلام : رغبت عن سنة جدك ، أقسمت عليك إلا ما تركت هذا الأمر ، فولد لهما المهدي لدين الله الحسين بن علي صاحب فخ عليه السلام ، وكان هو وزوجته المذكورة يعرفان بالزوج الصالح لصلاحهما وفضلهما ، وكان عليه السلام من جملة المحبوسين مع عمه عبدالله بن الحسن عليه السلام في عشرين من بني الحسن عليه السلام فكانوا في مطبق مظلم لا يهتدون إلى أوقات الصلاة إلا بقراءته لما كان يعتاد من الورد وكان مجاب الدعوة ، فلما اشتد عليهم البلى وعظم الأمر قال له عبدالله بن الحسن عليه السلام قد ترى يا بني ما نزل بنا فادع الله تعالى ، ففكر ، ثم قال : يا عم إن لأبي الدوانيق منزلة في النار لم يكن ليبلغها إلا بما فعل بنا ، وإن لنا في الجنة منزلة لا نبلغها إلا بما نحن فيه فإن شئت أن أدعو الله تعالى أن يقصر بنا عن منزلتنا في الجنة ، ويقصر به عن منزلته في النار فعلت فقال : لا يا بني .
ومنهم الإمام أبو إبراهيم عبدالله بن الحسن عليه السلام :
(١٢/١)
روي أنه قد كان أثر السجود في جبهته ، وكان عليه السلام يلاحظ أمور الآخرة ولا يبالي تغير من الدنيا وخطب يوما فقال في آخر الخطبة : اللهم إن ذكرت اليوم أبناء بآبائهم فاذكرنا عندك بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم يا حافظ الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء احفظ ذرية نبيك فارتج المصلى بالبكاء ، وقال في بعض خطبه : أيها الناس إني وجدت جميع ما يطلب

العباد من جسيم الخير عند الله في ثلاث : المنطق ، والنظر ، والسكوت ، فكل منطق ليس فيه ذكر فهو لغو ، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهو ، وكل نظر ليس فيه اعتبار فهو غفلة ، فطوبى لمن كان منطقه ذكرا ونظره اعتبارا وسكوته تفكرا ووسعه بيته وبكى على خطيئته .

ومنهم : الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن عليه السلام كان رضي الله عنه كثير العبادة يصلي ليلته كلها ثم يسجد في آخر الليل سجدة يقف فيها إلى طلوع الفجر .

ومن كلامه عليه السلام : والله ما أكلي إلا الجشب ، ولا لباسي إلا الخشن .

ومنهم : الإمام الحسين بن علي الفخي عليه السلام كان لا يدانيه أحد في الكرم والسماحة ،وكان يقول : والله إني لأخاف ألا يقبل مني؛ لأن الذهب والفضة والتراب عندي بمنزلة واحدة .

وروى أبو الفرج في كتابه الصغير أنه باع حائطا له بأربعين ألف دينارا ، فوقف بها على دار وجعل يفرقها في أهل الحاجات كفا كفا وحفنا حفنا فما أدخل بيته منها شعيرة .

وروى أيضا بإسناده إلى الحسن الهذيل قال : كنت أصحب الحسين بن علي صاحب فخ فقدم إلى بغداد فباع ضيعة له بسبعة آلاف دينار ، وخرج فنزل سوق أسد فأتاه رجل معه سلة عنب ، فقال له : مر الغلام يأخذ مني هذه السلة ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : أنا أصنع الطعام الطيب فإذا نزل رجل من أهل المروات أهديت له ، فقال : يا غلام خذ السلة منه وعد إلينا لسلتك ، قال : ثم أقبل سائل فقال : أعطوني مما رزقكم الله، فقال الحسين : ادفع إليه السلة ، خذ ما فيها ورد الإنا ، ثم أقبل علي فقال : إذا رد السائل السلة فادفع إليه خمسين دينارا ، وإذا جاء صاحب السلة فادفع إليه مائة دينار ، فقلت : جعلت فداك بعت ضيعتك لتقضي دينا فسألك سائل فأعطيته طعاما ماهو مقنع له فلم ترض حتى أمرت له بخمسين دينارا ، وجاءك رجل بطعام لعله يقدر فيه دينار أو ديناران فأمرت له بمائة دينار ، قال : يا حسن إن لنا ربا يعرف الحسنات ، إذا جاء السائل فادفع إليه مائة دينار ، فإذا جاء صاحب السلة فادفع إليه مائتي دينار ، والذي نفسي بيده إني لا أخاف لا تقبل مني ، لأن الذهب والفضة والتراب عندي بمنزلة واحدة .

(١٣/١)

وروى الحسن هذيل قال : قال لي الحسين بن علي صاحب فخ : اقترض لي أربعة آلاف ، فذهبت إلى صديق فأعطاني ألفين ، وقال إذا كان غد فتعال حتى أعطيك ألفين أيضا فخرجت فوضعتها تحت حصير كان يصلي عليه ، فلما كان من الغد أخذت الألفين الأخيرين ، ثم جئت أطلب الذي وضعته

تحت الحصير فلم أجده ، فقلت : يا ابن رسول الله ما فعل الألفان ؟ قال : لا تسأل فأعدت ، فقال : تبعني رجل أصفر من أهل المدينة ، فقلت له : ألك حاجة ، قال : لا ، ولكن أحببت أن أصل جناحك فأعطيته ألفين .
(١٤/١)
ومنهم السيد الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام ، روى شقيق البلخي ، قال : خرجت حاجا سنة سبع وأربعين ومائة ، فنزلت القادسية ، فبينما أنا أنظر إلى الناس وزينتهم وكثرتهم نظرت فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثوب صوف مشتملا بشمله ، وفي يده نعلان وقد جلس منفرج ، فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس في طريقهم ، والله لأمضين إليه ولأوبخنه ، فدنوت منه ، فلما رآني مقبلا قال : يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، وتركني ومضى ، فقلت في نفسي إن لهذا لأمر عظيم تكلم على ما في نفسي ، ونطق بإسمي ما هذا إلا عبد صالح لألحقه ولأسألنه أن يحاللني فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا ناقصة إذا هو يصلي وأعضاؤه تنضرب ، ودموعه تجري ، فقلت : هذا صاحبي أمضي إليه وأستحله ، فصبرت حتى جلس فأقبلت نحوه ، فلما رآني مقبلا قال : يا شقيق اقرأ : { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى } [طه :٨٢] ، ثم تركني ومضى ،فقلت : إن هذا الفتى في الأبدال قد تكلم على سري مرتين ، فلما نزلنا بالأوى إذا أنا به قائم على البئر وبيده ركوه يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده وأنا أنظر إليه فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول : أنت ربي إذا ظمئت من الماء ، أنت قوتي إذا عدمت الطعاما ، اللهم سيدي مالي سواها فلا تعدمني إياها ، قال شقيق ، فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فأخذ فمد يده وأخذ الركوة وملأها وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحركه ويشرب فاقبلت إليه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت : أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك فقال : يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكر ، فوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب زكاء منه فشبعت ورويت وأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة في جنب قبة زمزم نصف الليل وهو يصلي بخشوع وأنين وبكاء ، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل ، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ، ثم قام فصلى ، فلما سلم من صلاة الصبح طاف بالبيت أسبوعا ، وخرج وتبعته فإذا له حاشية وموالي وهو على خلاف ما رأيته في الطريق ، ورأيت الناس يسلمون عليه ،فقلت

لبعض من رأيته بالقرب منه : من هذا الفتى ؟ قال هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قلت : قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد (انتهى من كتاب جلا قلوب العارفين للشقيف رحمه الله تعالى) .
(١٥/١)
وكان لباسه عليه السلام لباس الزهاد ، وكان يخفي نفسه يعبدالله تعالى في الجبال والقفار ، وفي كتاب مروج الذهب للمسعودي عن موسى بن جعفر وكان في حبس الرشيد ، قال : بينما أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا موسى حبست مظلوما ، فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس ، فقلت : بأي وأمي أنت ما أقول قال : قل : (يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى وبإسمك العظيم الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، ياحليم ذا الأناة لا يقدر(١) على أناته أحد ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه غيرك ، يا أرحم الراحمين ، يا حي يا قيوم ، اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا إنك على كل شيء قدير) .
قال : فأمر الرشيد بإخراجه فلم يلبث في السجن والله أعلم .
وكان عليه السلام أكرم الناس وكان إذا بلغه عن الرجل ما يكرهه بعث إليه بصرة دنانير وكان صرره فيها ما بين الثلاث المائة إلى المائتي الدينار ، فكانت صرره مثلى .
ومنهم السيد أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام : روي أنه سعي به إلى المتوكل العباسي رحمه الله تعالى ، فوجه إليه ليلا بعدة من الأتراك وغيرهم فهجموا عليه في منزله فوجدوه في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصا ، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجه إلى ربه يترنم بآيات القرآن في الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه وحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وبين يديه كأس ، فلما رآه عظمه وأكرمه ، وأجلسه إلى جنبه فناوله المتوكل الكأس ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر من لحمي ودمي فاعفني منه فأعفاه فقال له : انشدني شعرا أستحسنه فقال إني لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لا بد أن تنشدني فأنشده :

باتوا على قلل الأجيال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم(٢) القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سالهم ... تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا يوما وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال الرواي : فأشفق من حضر على علي بن محمد رضي الله عنه ، وظنوا أن بادره منه ستبدر إليه على سكره قال : والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ، وأمر برفع الشراب ، ثم قال : يا أبا الحسن لقد لينت منا قلوبا قاسية ، وذكرتنا مأساة النعيم ، أقسم بالله عليك دين قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ، وأمر بها ورد إلى منزله من ساعته مكرما .
والحمدلله رب العالمين وصلىالله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

---

(١) ـ وفي نسخة " لا يقوى " .
(٢) ـ فلم تنفعهم القلل .
(١٦/١)
ومنهم الإمام محمد بن جعفر الصادق عليه السلام كان رضي الله عنه يصوم يوما ويفطر يوما ، فقيل : إن اليوم الذي يصوم فيه لا يزال في الذكر والصلاة والتعليم للعلم ، لا يشتغل بغيره من الأمور المباحة ، وفي يوم الإفطار يفرغ نفسه لتدبير أمره في الأمة ، وقل ما نام من الليل ومعه كذا ، وكان لا يدخر لغد شيئا في بيته ، ويقول : إن إدخار ما عندالله خير من إدخار ما عندنا ، إذ لو لم يكن لنا إلا ما ندخره لم نقم في الدنيا حالنا ، وما علم أنه خرج برداء ورجع به مدة حياته ، بل يتصدق به أو يهبه .
قال يحيى بن الحسين سمعت موئلا يقول : رأيت محمد بن جعفر يخرج من مكة إلى الصلاة في ثلاثمائة رجل من الجارودية الزيدية عليهم ثياب الصوف وسيما الخير فيهم ظاهر .
ومنهم : الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم عليه السلام ، قال بعض أصحابه : حججنا معه فاستيقظت في بعض الليل فافتقدته فخرجت وأتيت المسجد الحرام فإذا به لاطبا في الأرض ساجد وقد بل التربة بدموعة وهو يقول : من أنا فتعذبني ، فوالله ما يشين ملكك معصيتي ولا يزيد ملكك طاعتي .

وروى الهادي إلى الحق عليه السلام أن المأمون كلف بعض العلوية أن يتوسط بينه وبين القاسم عليه السلام في أن يبتديه بكتاب أو يجوب عن كتابه ، ويبذل له مالا عظيما فقال عليه السلام : (لا يراني الله أفعل ذلك أبدا) .
وروى المنصور بالله عليه السلام أن المأمون توصل بمن قدر عليه في أن يصافيه القاسم عليه السلام ويأمن جانبه فأبى ذلك أشد الإباء ، وأرسل إليه المأمون بوقر سبعة أبغل دنانير على أن يأخذها ويجيب في كتابه أو يبتديه بكتاب ، فكره ذلك ، ورد المال وقال لمن جابه : أتريد أن يحرم ... . المأمون .. لا والله لا يكون ذلك أبدا ، فرد المال جميعه حتى لم يقبض منه دينارا وهو بين قوم من حرب وبين ضعفاء أهله ، فلاموه على ذلك وقال : هلا قسمت بين أهلك وبين حرب ، ولم تأخذ منه شيئا لنفسك ، فقال عليه السلام في ذلك :
تقول التي أنا ردء لها ... وقال الحوادث دون الردى
ألست ترى المال منهلة ... محارم أمواه باللهى
فقلت لها وهي لو أمة ... وفي عيشها لو ضحت ما كفا
كفاف امرء قانع قوته ... ومن يرضى بالعيش نال الغنا
فإني وما رمت من نيله ... ومثلك حب العمى ما اردها
كذا الداء هاجت به شهوة ... فخاف عواقبها فاحتما

وروى السيد أبو طالب عليه السلام عن أبي عبدالله الفارسي خادم القاسم عليه السلام وملازمة في السفر والحضر قال : اشتد عليه الطلب وقد دخلنا أداني مصر فانتهى إلى خان فاكترى خمس حجر متلاصقات ، فقلت : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن في عوز من النفقة وتكفينا حجرة من هذه الحجر ، ففرغ حجرتين عن اليمين وحجرتين عن اليسار ونزل الوسطى وقال : هذا أوفى لنا من جوار فاجر وسماع منكر (انتهى) .
(١٧/١)
ثم هاجر عليه السلام عن المواضع التي تليها الظلمة وتجري فيها أحكام شوكة الفسقة وتقع فيها المناكير الظاهرة ولا يقدر أحد على إنكارها إلا بتلفه ، فسكن عليه السلام بجبال الرس بين المدينة وينبع بلاد قفر لا يهتدي إليها إلا أهل تلك البلاد العارفون بها إذ لا طريق عليها ولا واصل إليها إلا بدوي ينتقل بها أو بغيرها وهي تسمى بلاد بني سالم ترعى فيها حرب قبيلة من زيد ، فلما فعل ذلك عليه السلام كانت تصيبه وأهله فيها المخمصة العظمى ، فيقول من ضعف قلبه منهم بقصة عيسى عليه السلام وأمه ، كونهما عاشا

على نبات الأرض ، وكانت خضرة البقل ترى من ظاهر بطن عيسى عليه السلام ، ويرضون بتلك الحال ، ويجيهم من الأعراب نذور للإمام عليه السلام ، وفي بعض الأوقات يأكلون مما في الأرض من الأشجار ، وفي بعضها تحل لهم الميتة إذا وجدها أحد من أصحابه بطريق الحاج أخذ منها ما يسد به رمقه ، وصبروا على ذلك حتى لقوا الله عليه ، ومن شعره عليه السلام :

أنست إلى التفرد طول عمري ... فمالي في البرية من أنيس
وجانبت اللئام وطاب عيشي ... وجاسي لذلك كل بوسي
لأن الحر في الدنيا قليل ... ونفسي لا تميل إلى الخسيس
وأغناني قنوعي عن لئيم ... أمد إليه ضري أو رئيس

وقال عليه السلام :
تدرعت درعا للقنوع حصينة ... أصون بها عرضي وأجعلها ذخرا
وأعددت للموت الإله وعفوه ... وأعددت للفقر القناعة والصبرا

ومنهم السيد علي بن عبدالله بن الحسين عليه السلام : كان رضي الله عنه مشغولا بالعبادة والخلوة والإعتزال ، لا يصل إليه أحد ولا يأذن له .
ومنهم مولانا الإمام الأعظم الهادي إلى الحق الأقوم أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليه السلام صار في الزهد والورع والعبادة إلى حد تقصر عنه العبارة .
روى مؤلف سيرته عليه السلام عمن سمعه يقول : والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت مما جئت من اليمن شيئا ، ولا شربت به الماء إلا من شيء جئت به معي من الحجاز ، وهذا ورع شحيح(١) صلوات الله عليه .
وروي عن ابنه محمد المرتضى عليه السلام قال : وجهت غلاما لي إلى أبي يحيى بن الحسين أطلب منه قرطاسا أكتب فيه ، فقال يحيى للرسول : القرطاس لا يحل له فدفع الغلام ورقة قطن ، وروي عن بعضهم أنه عليه السلام قال : اشتر لي قرطاسا على حده مما يحل لي الكتب فيه ، فاشترى له .

---

(١) ـ لأنه يعفف عن الحلال إذا كان يجوز له أن يتناول من الجزية وأخماس الغنائم ، أ .هـ . دامغه ـ خ ـ
(١٨/١)

وروى مؤلف سيرته عن عبيد الله بن حبيب وكان يقوم بأمر الهادي عليه السلام ، قال : قال لي يحيى بن الحسين عليه السلام : اشتر لي تبنا أعلفه دوابي ، قال : فقلت له : ليس نجد إلا تبن الأعشار ، فقال : لا تشتر لنا منه شيئا وأنت تقدر على غيره ، قال عبيدالله فلم أجد غيره فأمرت بعض الغلمان ممن يقوم على الخيل يأخذ منه كيلا معروفا حتى نشتري ونرد ما أخذنا ، فعلم يحيى بن الحسين عليه السلام فوجه إلى عبيدالله يكلمه بكلام غليظ ، فقال له عبيدالله إنا أخذنا منه كيلا معروفا حتى نرد مكانه ، فقال : لست أريد منه شيئا مالنا وللأعشار ، خذوا هذا التبن فاعزلوه حتى يعلفه من يحل له ، ولم يعلف خيله منه تلك الليلة شيئا ، وأمر أن يطرح للخيل التي لغيره ، فبقيت خيله بلا تبن ليلتين ، ثم قال : اللهم إني أشهدك أني قد أخرجت هذا من عنقي ، وجعلته في أعناقهم .

وروى أنه صاح بغلام له فسأله عن خرقة ، فقال له : قد رقعتها فقال له : اخرجها إلي فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين عليه السلام ، فقال له : ويلك أنت قليل دين تضع من بين الأعشار بين ثيابي ، ودخل يوما وقد تطهر للصلاة فأخذ خرقة فمسح بها وجهه ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون هذه الخرقة من الأعشار ، فذكرت له ذلك ، فقال : ما يحل لنا أن نمسح به وجوهنا ، ولا أن نستظل به من الشمس .

وكان عليه السلام : صواما قوما يصوم أكثر أيامه ، ويحيى أكثر لياليه تهجدا وصلاة .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام عن سليم وكان يخدم الهادي عليه السلام في داره ، قال : كنت أتبعه حين يأخذ الناس فراشهم في أكثر الليالي بالمصباح إلى بيت صغير في داره كان يأوي إليه ، فإذا دخله صرفني فأنصرف فهجس ليلة بقلبي أن أقعد على باب البيت أنظر ماذا يصنع ، قال : فسهر عليه السلام ليلته أجمع ركوعا وسجودا ، وكنت أسمع وقع دموعه ونشيجا في حلقه ، فلما كان الصبح قمت فسمع حسي ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا ، فقال : سليم ما عجل بك في غير حينك ، قلت : ما برحت البارحة جعلت فداك ، قال : فرأيته اشتد عليه ذلك وحرج علي أن لا أحدث به أحدا في حياته ، قال سليم : فما حدثت به إلا بعد وفاة الهادي عليه السلام .

قال مؤلف سيرته : وكان عليه السلام يثرد بيده الطعام للأيتام بالسمن ، وممن كان ضعيفا في المأكل ، قال هذا مغبون فيأكل مع المساكين ثم يعزل له شيئا ، وكان لا يأكل طعاما حتى يطعم منه المساكين ، وكان يأمر صاحب بيت المال أن يطعم الطوافين من المساكين غدوا وعشيا ، وألزمنا

على قدر قوتهم وعلى قدر ما في بيت مالهم ، وكان يأمر صاحب بالكسوة لهم في كل وقت تخاط ثيابا قد جعلت قميصا للنساء والرجال والصبيان ، وكان يأمر في الشتاء من يتولى شراء الصوف ويقول : إن لكل وقت كسوة وإن لكل زمان لباسها .
(١٩/١)
ومن كلامه عليه السلام في الحكمة قوله : أصل الخشية لله تعالى العلم وفروعها الورع ، وفرع الورع الدين ، ونظام الدين محاسبة المرء نفسه ، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله وأصل التدبير هو التمييز ، وأصل التمييز الفكر ، ومن لم يجد فكره لم يجد تمييزه ، ومن لم يجد تمييزه بما ركب فيه من عقله لم يستحكم تدبيره ، والعقل كمال الإنسان والتجريد لقاح العقل ومن لم ينتفع بتجربته لم ينتفع بما ركب فيه من عقله ، وشكر المنة زيادة في النعمة ، والنعمة لا تتم لمن يرزقها إلا بشكر موليها ، ومن اغفل شكر الإحسان فقد استدعى لنفسه الحرمان ، ومن أراد أن لا تفارقه نعمة الله فلا يفارق شكر الله وحسن الرأي التأني وافته العجلة إلا عند بيان الفرصة ، ومن علم ماالله عنده لم يكد يهلك ، ومن أراد أن ينظر ماله عندالله فلينظر مالله عنده ، ثم ليعلم إن له عندالله مثل مالله عنده .
قال الله تعالى : { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون.. } [الأنعام : ١٦٠] ، وجودة اللسان زين الإنسان ، وحياة القلب أصل البيان .
ومن نظر في عواقب فعله نجا من موبقات عمله ، وصاحب الدين مرهون وصاحب السخاء محبوب ، وصاحب العلم مرغوب إليه ، وذو النصفة مثني عليه ، ومن كفى الناس مؤنة نفسه كفاه الله مؤنة غيره ، ومن خضع وتذلل لله فقد لبس ثوب الإيمان ، ومن لبس ثوب الإيمان فقد تتوج بتاج العزة من الرحمن ، قال الله تعالى : { ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين } [المنافقون :٨] .
ومن رزق نزاهة النفس فقد أعطي عوضا عن العبادة ، ومن وقف للصبر عند البلاء فقد خفت عليه المحنة العظمى ، ومن أراد من الله التسديد والتوفيق فليعمل لله بالإخلاص والتحقيق ، والعلم والحكمة لا ينموان مع المعصية ، والجهل والحيرة لا يقيمان مع الطاعة ، ومن وقف أمن من الزلل ، ومن خذل لم يتم له عمل ولم يبلغ غاية من الأمل ، ومن قوي باطن قلبه لم يضره ضعف بصره ، قال الله تعالى : { فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } [الحج :٤٦] ... إلى آخر ما ذكره عليه السلام .

(٢٠/١)

وفي الصراط المستقيم تتمة لكلامه هذا ما لفظه : ومن رغب في الله اتصل به وانقطع على الحقيقة إليه ، ومن لم يهتد إلى أفضل العبادة وأسناها فليقصد مخالفة النفس في هواها ، والعلم مصباح في الصدور وزينتة الورع وذبالته الزهد ، ومن اشتدت رغبته في الدنيا طلب لنفسه التأويلات الكاذبات ، وتقحم بلا شك في المهلكات وفي كتاب الخشية للهادي عليه السلام بعد قوله : المهلكات وكان عندالله من أهل الخطيئات ، وصاحب الدنيا الراغب فيها كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبدا ، ولا يخلو فكره من الهم أصلا ، ولو أعطي منها كل العطاء ، والحلم مع الصبر ، ولا حلم لمن لا صبر له ، وعروت الحكمة التي تضرب في الصدور هي طاعة الله تعالى وثمرتها البلاغة ، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله .

ومنهم الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش عليه السلام روي أنه في مرضه عليه السلام كان لا تفوته صلاة بوضوء إلى أن ثقل ، فكان يومي إلى الوضوء بيده فيوضونه ويأخذ في الصلاة حتى فاضت نفسه وهو ساجد .

وروي عنه عليه السلام أنه قال : ليس لي شبر أرض ولا يكون إنشاء الله تعالى ، ومهما رأيتموني أقتني ذلك فاعلموا أني قد خنتكم في ما دعوتكم إليه ، ومنهم الإمام المرتضى محمد بن يحيى بن الحسين عليه السلام قد كان دعا بعد موت الهادي عليه السلام ثم اعتزل الأمر وخلا بربه وآثر عبادته على كل شيء ، وخطب عند ذلك ـ أي عند تركه للأمارة خطبة بليغة منها قوله عليه السلام : (وأيقنت مع الأحوال التي وضعتها والموانع التي ذكرتها إن السلامة عندالله من الزهد في الدنيا والإشتغال بعبادة رب العالمين والإعتزال عن جميع المخلوقين ، وذلك بعد رجوعي إلى كتاب الله جل وعز ، واشتغال خاطري بتدبر آياته وإعمال نظري وفكري في أوامره وزواجره ومحكمه ومتشابهه ، وخاصه وعامه وأمره ونهيه وناسخه ومنسوخه ...) ، إلى أن قال عليه السلام : (أمثلي يدخل في الأمور الملتبسه .. هيهات منع من ذلك خوف الرحمن وتلاوة القرآن والمعرفة بما أنزل الله في محكم الفرقان ، فإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتدعه زينتها) ، وهي خطبة طويلة عظيمة شاهدة بفضله وعلمه وزهده .

ومنهم الإمام الداعي إلى الله الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبدالرحمن أبي القاسم بن الحسين بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

روي أنه كان معه شبه السبحتين من الحجارة ، فكان إذا أصبح يعدد من الصباح إلى المساء بالسواد ما لم يكن فيه ثواب على ظنه ، ويعدد بالبياض ما يظن أنه يثاب عليه مما قال : أو فعل فإذا آوى إلى فراشه للنوم عدهما فإن وجد البيضاء أكثر عددا نام وإن لم ينم تلك الليلة .
ومنهم الإمام المهدي لدين الله أبو عبدالله بن محمدبن الداعي إلى الله الحسن بن القاسم المتقدم ذكره .
(٢١/١)
كان عليه السلام كثير البكاء من خشية الله تعالى ، غزير الدمعة مقربا للصالحين وأهل الخير ، شديدا على الفساق معروفا بسلامة الصدر ، حسن الرجوع على حدة مقرطة كانت به ثم يرجع أحسن الرجوع ، وجمع بين العلم والعمل .
ومنهم : السيد الإمام أبو الحسين المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام ، كان عليه السلام في الورع والتعزز إلى حد تقصر عنه العبارة ، وتصوف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغا عظيما وصنف في ذلك سياسة المريدين ، وكان عليه السلام متواضعا على قوة سلطانه يحمل المحقرات على يده ، ويمتنع من أن يتولى ذلك غيره ، حتى لقد كان يحمل السمك من السوق إلى داره ، فكانت الشيعة تقول : دعنا نتبرك بحمله فيقول : أنا أحمله قسرا للهوى وتركا للتكبر لا للأعواز إلى حمله ، وكان يجالس المساكين والفقراء ، وكان يرقع قميصه بيده ، ويشتمل بإزار إلى أن يفرغه ، وكان لا يتقوت ولا يطعم عياله إلا من ماله ، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال ، وكان يتعمد المشي في السوق كثيرا ، وكان يسير بطريق كلار ، فطلب ممطرا له من بيدار صاحبه ، فقال : هو على بغل لبيت المال فأنكر عليه وقال : متى عهدتني أستجيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال وكان يصرف من خاصة ماله إلى بيت المال ما يكون عوضا عما يتركه الكاتب في أول الكتاب ويباعد ما بين السطور .
وروي أنه حمل إلى داره شيئا من العشر ليصرفه في المصالح فانتثر منه حبات فالتقطه الدجاج التي يملكها فصرف الدجاج إلى بيت المال وكان عليه السلام يكثر ذكر الصالحين وإذا خلى بنفسه يتلو القرآن بصوت حزين شجي .
وكان عليه السلام غزير الدمع ، كثير البكاء ، دائم الفكر .
قال القاضي يوسف الخطيب من أصحابه عليه السلام : صحبته ست عشرة سنة ، فلم أره يضحك قط ، بل ربما تبسم القليل ، وكان عليه السلام يمسك بيت المال بيده ويحفظه بنفسه ولا يثق فيه بأحد ، ويفرق على الخدم بيده

ويوقع الخطوط بيده واشتهى يوما لحم حوت ، فبعث الوكيل إلى السماكين فلم يجد إلا حوتا لم يقطع ، وقالوا : ألم نرد أن نقطعه اليوم ، فأخبره بإمتناعهم فوجهه ثانيا ، وقال : مرهم عني بقطعة فأبوا ، فعاد إليه وأخبره حمد الله على أن رعيته لا ... .. جنته ، وأنه ورعاته عندهم سواء ، وكان كثير الحلم عظيم الصنع .

روي أنه دخل يوم ما المتوضأ للوضوء ، فوجد رجلا متغير اللون ، فقال : ما دهاك ، فقال : إني بعثت لقتلك ، فقال : وما الذي وعدوك به ، فقال : بقرة ، فقال : ما لنا من بقرة ، وأدخل يده في جيبه وناوله خمسة دنانير ، وقال اشتر بها بقرة ولا تعد إلى مثل هذا .

ومنهم الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام :

(٢٢/١)

كانت مجالسه مجالس الذكر في السفر والحضر ، وأوقاته مرتبة له وظائف لا بد منها على مرور الليالي والأيام ، لا يتشاغل بشيء عنها حتى يقوم بها منها : قراءة شيء من القرآن الكريم وذلك من بعد صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس ، ويزيد قليلا وينقص ، ومنها للقراءة عليه في كتب الأخبار وغيرها وسماعها عنه ، ويعرض في خلال المسائل ممن يعرض من العلماء وأهل المعرفة في كل فن من فنون العلم فيبينها ويوضحها .

ويروي من الأخبار والقصص السالفة ما يعجز عنه البلغاء وأهل المعرفة إلى ضحوة ، ومنها الإشتغال بحوائج الناس العامة والخاصة ، وتصدير الكتب إلى البلاد والإجابة عن الوارد منها والجواب عن المسائل والفتاوي وغيرها ... إلى آخر النهار .

ومن بعد صلاة المغرب القراءة عليه في الأخبار وغيرها إلى قدر ثلث الليل أو ربعه ، وفي عرض هذه الأشياء لا يفارقه كتاب يقرأ فيه هذا مع الصوم المستمر الشهور والأعوام إلا في النادر عند قدومه إلى أهله ، فيقع السؤال فيفطر اليومين والثلاث ، وكان قليلا ما يتصل بهم أو يصيبه مرض ، وكان كثيرا ما يصيبه صداع شديد في رأسه فيفطر لأجل ذلك ، وربما يصوم معه في بعض الأوقات ، فهذه طريقته عليه السلام في أوقاته ذكرها في سيرته .

وكان عليه السلام شديد الورع ، روي أنه كان يأتيه قوم كثير بدراهم وغيرها فيحفظ ذلك ، ثم يشكون شكية فيرد ذلك كله إليهم ، قال الفقيه حميد رحمه الله تعالى : ولقد رأيته قد قبض على درهم يريد صرفه لبيت المال عوض شيء لا خطر له من بقل تناوله ، وكان قد جيء به من قوم قد أمر بعضهم دون بعض فالتبس ذلك .

وكان عليه السلام معروفا بالإيثار على نفسه من حال شبابه ، كثير الإحسان إلى الوافدين ، يعطي ما يجد ويستدين إن لم يجد ، ومن وصية له عليه السلام : الحمدلله الذي استحق الحمد فوجبت له أسنى المحامد ، ولا إله إلا الله العزيز الواحد ، وصلى الله على النبي العربي الأمين ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وعلى جميع النبيين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين ، اللهم إني إليك من التائبين ، وفيك وفيما لديك من الراغبين ، فاعف عنا واغفر لنا وارحمنا وأنت أرحم الراحمين .
قد تقدمت وصايا مختلفة يعمل بآخرها إنشاء الله تعالى وبما تيقن بقاؤه من أولها ... إلى أن قال : ويستحل لي ممن بيني وبينه معاملة ، ومن ادعا شيئا قبلي وظاهره العدالة أعطي على قوله ... إلى أن قال عليه السلام : فوصيتنا إلى المسلمين كافة في برنا بما أمكن من قليل أو كثير صدقة لوجه الله وصلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن تعذر عليه ذلك فتسبيحه أو تكبيره أو تهليله ، أوصلاة أو ضربة في سبيل الله أو رمية ، أو رحمة ، ولا يستقل قليلا ، ووصيتنا إلى الرجال والنساء من إخواننا المؤمنين والمؤمنات ، والله خلفيتنا عليهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم ..(انتهى) .
(٢٣/١)
أقول وأنا أوصي قرابتي وإخواني وكافتي المؤمنين والمؤمنات بمثل ما ذكرناه عن الإمام المنصور بالله عليه السلام وأنا قابل لذلك وأجرهم على الله وكتبه الفقير إلى الله علي بن محمد العجري غفرالله له وللمؤمنين والمؤمنات آمين ، وصل ياربِ على محمد وآله وسلم .
ومنهم : الأميران الكبيران الدعايان للمنصور بالله عبدالله بن حمزة عليهم السلام وهما يحيى ومحمد أبناء أحمد بن يحيى بن يحيى فضلهما وورعهما عليهما السلام أشهر من نار على علم .
روي أن المنصور بالله عليه السلام قال لهما : اعمرا تلتمص لكسبكما وأولادكما ، قالا : نستنظر الجواب إلى غد ، فلما كان الغد أتياه وقالا : ما نلقى الله بعمارة قلعة تصبح أولادنا تظلم الناس إليها ، قال لهما : اعمرا ولكم قصدكم وعليهم فعلهم ، فما قبلا منه ، فعمره المنصور بالله عليه السلام .
ومنهم : الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن عبدالله بن القاسم بن أحمد بن إسماعيل أبو البركات عليه السلام ، كرمه عليه السلام وكراماته وفضائله وفواضله وحسن أخلاقه وزهده وورعه مما

لا يحيط به الوصف ولا تسعه المجلدات الكبار ، روي أنه ما كان يعد الدراهم بل يعطي من غيرعد .
قال في اللآليء : وكان عليه السلام حليف العبادة والزهد والوروع ، وكان يقوم في الثلث الأخير من الليل فلا يبرح قائما وقاعدا وراكعا وساجدا ، وكان يتوضأ لأكثر الصلوات قل ما يصلي المغرب إلا بوضوء جديد ، وقل ما يوتر إلا في آخر الليل ، وكانت فيه عليه السلام صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلقا وخلقا ، كان لا يقول الشعر .
ومنهم : الإمام المهدي لدين الله إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين عليه السلام ، كان عليه السلام كثير الحلم روي أنه اعترض له الفقيه أحمد بن البننا من أهل الظاهر وجاهره بما يسوءه من القدح والذم ، فحلم عنه الإمام عليه السلام ، فلما استوفى الأذية قال له : دع عنك هذا يا فقيه ، هل لك من حاجة أو سؤال عن فائدة ، حتى قال له : سل عما بدالك ، فقال الفقيه : ما معنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؟
فأخذ الإمام عليه السلام يفسر له هذه الألفاظ ويشرح له المعوذة حتى جعل العلم كأنه فيها وكأن السائل قاصد الهزوء به أو معرضا بما قاله إلى الإمام عليه السلام كأنه أراد الإستعاذة منه ، فلم يلتفت الإمام إلى ذلك بل أراه أنه معيب في سؤله وطالب إفاده ، وما ذلك أراد ولكن هذا يكون شيم الأئمة الأطهار عليهم السلام .
ومنهم : الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى عليه السلام المظلل بالغمام ، كان الغمامة في كل خلة شريفة علما وكرما وورعا ، من كرمه عليه السلام أنها وضعت في كفه دراهم فسهي عنها حتى عرقت كفه فانتبه من سهوه ، فرما بالدراهم عن يده ، وقال : ما هذه شيمة المتوكل ، قالوا : وكان عليه السلام كثير التواضع حتى كان في أيام إمامته يخرج بجماعة يقرأون عليه في ناحية من جبل فإذا فرغوا احتطبوا للإمام فيأخذ الإمام شيئا من الحطب فيحمله معهم ، فيسألونه ترك ذلك فيأبى ويقول : أنا من الحطب إلى الحطب .
(٢٤/١)
ومنهم : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام هو الإمام الصوام القوام العابد الزاهد ، ذكر العلماء أن ما أحد مثله في العلم والزهد من علي عليه السلام إليه صنف في العلوم خمسة وتسعين مجلدا في كل فن ، وذلك ظاهر لا يخفى ، ونور لا يطفأ ، صنف في علم المعاملة كتاب التصفية وهو من أنفس الكتب وأبلغها ، وكتاب الأنوار جزئين شرح للأربعين السيلقية ، وكتاب الإنتصار نيف وعشرين جزءا في الفقه ، وكان زاهدا في الدنيا ،

كان تحته بساطا خلقا ، فقيل له : لو أخذت بساطا جديدا ، فقال : لو شئت أن يكون بساطي من ذهب وحرير لفعلت ولكن لنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة ، جهز ابنته سيدة نساء العالمين ابنة سيد المرسلين زوجة سيد الوصيين بوسادة من أديم حشوها ليف ، وأهاب كبش كانت فاطمة عليها السلام تعجن على ناحيته وينامون على ناحيته ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينثر في بيتها ليلة بنا علي بها من بطحا الروحى .

ومن كلام له عليه السلام ذكر في بعض وصاياه : أقول حق على من كان الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والقبر مقبره ، وبطن الأرض موطنه ومستقره ، واللحد ضامه ، والدود أنيسه ، ونكير ومنكر جليسه ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، لايزال فكره إلا في الموت وأهواله ، ولا همة له إلا في انقطاع العمر وزواله ، ولا ذكر الإله ولا فكر إلا فيه ، ولا استعدادا إلا لأجله ، ولا تدبرا إلا لوقوعه ، ولا تعريج إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حوم ولا حولة ولا انتظار إلا لنزوله ، ولا تربص إلا لهجومه ، وخليق أن يعد نفسه في الموتى ويراها في أصحاب القبور ، فكل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت ، ومصداق ذلك ما أثر عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) ، ثم إن وصيتي إلى أولادي والأقارب وسائر الإخوان وسائر أهل الصلاح أرباب الهداية والتقوى والمسلمين أن يشركوني في صالح أدعيتهم بالتجاوز عن الفرطات ... إلى آخرها .

ومن كلامه عليه السلام وقد طالع تصفية الديلمي محمد بن الحسن رحمه الله ، قال : لما وقفت على مجموع الفقيه الصالح محمد بن الحسن الديلمي في علم المعاملة وجدته قد سلك مسلك من تقدم من مشائخ الطريق كال ... ... وغيرهم ، ونقل كلامهم من غير تحريف ولا تبديل ، وربما يكون في كلامهم ألفاظ يمكن تنزيلها على أصول الشريعة ومقاصد الملة وهم أخوف الناس لله تعالى وأكثرهم تنزيها لذاته ، وأبعدهم عن مقالة أكثر أهل الفرق ، فلا يظنن من وقف على كلامهم الموهم أنهم يقصدون معنى لا يليق بحال الربوبية ولا يوافق أصول الحكمة ، بل همهم تعظيم الخالق ، وتطهير قلوبهم عن الرذائل ، فهذا ما عندي فيهم إنشاء الله تعالى .

وكان له عليه السلام سبعة أولاد علماء ، حلماء ، كرماء ، عباد زهاد ، مجاهدون :

(٢٥/١)

عبدالله الكبير : حاز شروط الإمامة كلها ، ومحمد عالما فاضلا كريما فائق الكرم ، جامعا لخصال الشرف ، تحمل مشقة هجرتهم حوث ، وكان العلماء والدرسة في بيته إلى قدر الخمسين أو الستين ، ومن الضيوف إلى قدرهم أو أكثر حتى لقي الله .

وإدريس كان عالما ، فاضلا ، حاز خصال الكمال برمتها ، وله جهاد عظيم وكرامات وبركات ، وأحمد كان عالما ، فاضلا ، زاهدا ، عابدا ، متواضعا ، متحننا على المسلمين ، خادما للدرسة والمساكين بنفسه ، زاهدا في اللباس وركوب الخيل .

والهادي عالما ، فاضلا ، متواضعا ، خرج من ماله كله ولبس الخشن من الصوف ، وانتعل المخصوف ، وسكن الهجر من الشرف وغيره ، وزهد في سكون المدائن ، وقال : السكون فيها بحر إلى الدنيا ، وللهادي عشرة أولاد : علماء حلماء فضلاء كرماء ، ذوو ورع ودين وحياء ويقين ، والمهدي عالما ، فاضلا ، زاهدا ، عابدا ، متعففا عن الدنيا ، له ضيعة ببلاد مدحج يكتف بها تاركا للتعلقات ومخالطة أولي الرئاسات ، قال السيد يحيى المهدي : سمعت الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن المطهر عليه السلام يقول : أولاد الإمام يحيى بن حمزة سادات السادات ، بهم إلى الله تستنزل البركات (انتهى) .

ولنقتصر على هذا القدر من التنبيه على ذكر عبادات أهل البيت النبوي صلوات الله عليهم وسلامه ، إذ الإتيان على جميعهم متعسر ، والإحاطة بمعرفتهم متعسر ، والمقصود حث النفس على الإقتداء بهم ، ولزوم مناهجهم ، وفي هذا كفاية لمن له من ربه هداية ، ولنختم كتابنا هذا بفصلين مفيدين الأول منها يشتمل على قسمين أحدهما في بر الوالدين وصلة الرحم ، والثاني في الحث على الصبر ، والفصل الثاني يشتمل على حكايتين عجيبتين رواهما المرشد بالله عليه السلام في أماليه .

الفصل الأول : وفيه قسمان كما قدمنا أحدهما في بر الوالدين وصلة الرحم :

ففي أمالي الإمام أبي طالب عليه السلام بسنده إلى علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (أربع من تمسك بهن فقد تمسك بالعروة الوثقى ، فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما هن ؟ قال : الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة ، وصلة الرحم ، وصدقة الليل تدفع غضب الرب ، يبعث الله صاحبهما يوم القيامة لا يأتي بابا من أبواب الجنة إلا دخل من أيها يشاء) .

وفيه بإسناده إلى علي عليه السلام : أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله : أهل بيتي أبو إلا توثبا علي وقطيعة لي

وشتيمة أفأرفضهم ، قال : إذن يرفضكم الله جميعا ، قال : فكيف أصنع ؟ قال : تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله ظهير .

وفي أمالي المرشد بالله عليه السلام بسنده إلى علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (عفو تعف نساءكم ، وبروا آبائكم تبركم أبنائكم ، واقبلوا من المنتصل محقا كان أو مبطلا ، فمن لم يقبل من منتصل عذره فلا نالته شفاعتي ، أو قال : فلا ورد علي الحوض) .

(٢٦/١)

وفيه عن المقدام ابن معدي كرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إن الله تبارك وتعالى يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم الأقرب فالأقرب) .

وفيه عن علي عليه السلام في قوله تعالى : { يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب } [الرعد :٣٩] أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لا بشرتك بها يا علي تبشر بها أمتي من بعدي وهي الصدقة على وجهها ، وبر الوالدين ، واصطناع المعروف ، وصلة الرحم ، تحول الشقاوة سعادة ، وتزيد في العمر ، وتقي مصارع السوء) .

وفيه : عن علي عليه السلام قال : (إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيمدها الله عز وجل إلى ثلاث وثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثين سنة فيبترها الله عز وجل إلى ثلاث سنين) .

وفيه : عن عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري بي إلى السماء : (رأيت الرحم معلقة بالعرش تقول : يارب أشكو إليك من قطعني ، قلت : يا جبريل كم بينها وبين من قطعها ، قال سبعة آباء) .

وفيه عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن البر وصلة الأرحام عمارة الديار ، وزيادة في الأعمار) .

وفيه : عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (احتضر رجل بار بأهله وفي جواره رجل عاق بأهله ، فقال الله عز وجل وهو أعلم بذلك : يا جبريل كم بقي من عمر هذا العاق ، قال : ثلاثون سنة قال حولها إلى عمر هذا البار ، واقبض روح هذا العاق) .

القسم الثاني في الصبر هو من خصال الإيمان وأجلها وأنفسها ، وهو قسيم الشكر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (الإيمان نصفان نصف صبر ، ونصف شكر) .

واعلم أن ماهية الصبر مخالفة الهوى والميل عن الشهوات الدنيوية ، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين ، لأن اليقين يعرفه أن المعاصي ضارة للطاعات غير نافعة ، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو أيضا استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل وفضائل الصبر مشهورة كتابا وسنة وآثارا ، وكفى بقوله تعالى : { إن الله مع الصابرين } [الأنفال :٤٦] ، وقال تعالى : { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا } [السجدة :٢٤] ، وقال تعالى : { وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا } [الأعراف :١٣٧] ، والآيات في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة معلومة .

قال بعض العلماء : وقد ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الخيرات ورفيع الدرجات إلى الصبر في التصفية للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (من أقل ما أوتيتم التصبر وعزيمة الصبر ، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار) .

(٢٧/١)

وروى جابر أنه سئل عن الإيمان فقال : (الصبر والسماحة) ، وقال أيضا : (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (في الصبر على ما يكره خير كثير) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (لو كان الصبر رجلا لكان رجلا كريما ، والله يحب الصابرين) .

وقال علي كرم الله وجهه : (الإيمان على أربع دعائم : اليقين ، والصبر ، والجهاد ، والتعبد) .

وقال : (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له) .

قال الإمام عزالدين بن الحسن عليهما السلام : (فليصبر العبد على الطاعات ، وعن المعاصي ، وليتلق ما ورد عليه من مصائب الدنيا آلامها وغمومها ، ونقص الأموال وتلفها ، وغير ذلك بالصبر الجميل ، ليفوز بالأجر الجزيل ، ولو لم يكن الصبر مما يحصل به عظيم الأمر لكان أرجح من الجزع ، وأوفق منه وأنفع وساحته أوسع) .

الفصل الثاني

في الحكايتين

الحكاية الأولى :

روى المرشد بالله عليه السلام بسنده إلى محمد بن عبيدالله عن أبيه عن جده قال : كان شاب يختلف إلى ابن عباس رضي الله عنه ، فيدنيه ويقربه ، فقيل له : إنك تدني هذا وهو شاب سوء يأتي القبور وينبشها ، ويسلب الموتى ، فقال : لا أصدق هذا حتى أراه بعيني .
قالوا : فواعدنا موعدا نريكه ، فوعدهم ابن عباس المقابر فخرجوا فاختفوا في ناحية منها ، فلما كان هوي من الليل إذا الشاب قد أقبل يتخلل القبور حتى أتى قبرا قد حفر وسوي لحده ، فاضطجع فيه ، ثم أقبل ينادي : يا ويلي إذا دخلت في لحدي وحدي ، وبطقت الأرض تحتي ، فقالت : لا مرحبا بك ولا أهلا ، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني .
يا ويلي : إذا خرجت من لحدي وحدي حاملا وزري على عنقي ، وقد تبرأ مني أمي وأبي وزوجتي ومن له سعة من ولدي ، وأسلموني إلى من بالحساب يجزي .
يا ويلي : إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفا والملائكة صفوفا كل ينادي نفسي نفسي ، فمن عذاب غد من يخلصني ، ومن المظلومين من يستنقذني ، ومن أهوال يوم القيامة من يؤمنني ، وعلى الصراط من يثبت قدمي ، عصيت من ليس بأهل أن يعصى ، عاهدت ربي مرة بعد أخرى فلم يجد عندي صدقا ولا وفاقا .
فأقبل ابن عباس حتى وقف على شفير القبر وقال : نعم النباش ما أنبشك للذنوب والخطايا ، فنهض الشاب من القبر ، فعانقه ابن عباس وتفرقوا .
(٢٨/١)
الحكاية الثانية : روى المرشد بالله عليه السلام بإسناده إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن ... . قال : سمعت رجلا من البكائين النواحين يقول : واموتاه ، ليس من الموت منجا ، كأني بالموت قد غاداني أو ماساني ، وكأني عن قليل لا أزاور ولا أوتى ، وكأني عن قليل أودع الدين والدنيا ، وكأني عن قليل أتخذ القبر بيتا ، واللحد متكأ ، وكأني عن قليل أوسد بلبنة وأستتر بأخرى ، وكأني عن قليل أجاور أهل البلاء ، وكأني عن قليل أجاور قوما جفاة .. واغفلتاه .. واهولاه أي الأهوال .. تذكروا إنا لو لم يكن إلا الموت وغصصه وما بعد الموت أعظم وأدهى إسرافيل لو قد نادى فاسمع النداء ، فأزعجني غدا من ضيق لحدي وحيدا منفردا متغير اللون شاخصا بصري ، مقلدا عملي قد ألجمني عرقي ، وتبرأ الخليقة مني نعم وأمي وأبي ، نعم ومن كان له كدي وسعيي ، فبقيت في ظلم القيامة متحيرا ، فمن يقبل ندای ، ومن يؤمن روعتي ، ومن يطلق لساني إذا غيبتني في التراب ، ثم سألتني عما أنت أعلم به مني ، فإن قلت لم أفعل ، قلت : ألم أكن

شاهدا أرى ، وإن قلت قد فعلت ، فأين المهرب من عدلك ، فمن عدلك من يجيريني ، ومن عذابك من ينجيني ، يا ذخري وذخيرتي ، ويا موضع بثي وشكواي من لي غيرك ، إن دعوت غيرك لم يجيبني ، وإن سألت غيرك لم يعطني ، فرضاك قبل لقاك ، ورضاك قبل نزول النار ، يالها فضاعة ليلة بتها بين أهلي قد استوحشوا لمكاني عندهم ، وقد كانوا قبل ذلك يأنسون بقربي ، خمدت فما أجبت داعيا ولا باكيا حين يكون ميتا بين أظهرهم ، مسجى ما كان همتهم حين أصبحوا الا غاسلا ، نزعوا خاتمي ، وجردوا عني ثيابي ، ووضوني لغير صلاة ، حتى إذا فرغوا قالوا : جففوه وقربوا أكفانا ، فأدرجوني وأنا سطيح على أعواد المنايا إلى عسكر الموتى ، ينقلوني مروا بي على الناس ، فكم من ناظر متفكر وآخر عن ذلك لاه ، بكى أهلي ، وأيقنوا إنها هي غيبتي لا يرجون لقائي ، نادوا بإسمي فأسمعوا من حولي ولم يسمعوني ، ولقد عظم الذي إليه تحملوني ، نزل قبري ثلاثة كأنهم بذحل(١) يطلبوني ، فدليت في أضيق مضجع ، وصار الرأس تحته الثرى وبه وسدوني .

فيا رب ارحم غربتي ، وأنس وحشتي ، وبرد مضجعي ، ونور في القبور قبري (انتهى) .

تم الكتاب والحمد للعزيز الوهاب

وصلى الله وسلم على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله قرناء السنة والكتاب

وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين آمين

وذلك يوم الثلاثاء عله ٢٧/ جمادي الآخرة/ سنة ١٤٣٩هـ

بقلم الفقير إلى الله سبحانه

السيد علي بن محمد العجري غفر الله له

مستمدا ممن اطلع على كتابه هذا أو انتفع به أن يدعو له بالمغفرة الرحمة

---

(١) ـ الذحل طلب المكافأة بجناية من قتل أو جرح ، والذحل العداوة أيضا أ . هـ نهاية .
(٢٩/١)